الوهـــم

وقفتْ في مدخل العمارة تسأل البواب عن إحدى الشقق، تأملها بشيء من الملل ثم أجاب وهو يشيح بوجهه: في الدور العاشر. عندما سألتْ عن مكان المصعد، أخبرها أن المصعد عطلان، نظرتْ اتجاه السلم وهمستْ لنفسها: يا إلهي.. عشرة طوابق كاملة!

قررتْ أن تتأنى في الصعود حتى لا تشعر بالتعب، لابد أن تصعد إلى شقته، لابد من الحوار، فلقد أصبحت الفواصل كثيرة في هذه العلاقة الشائكة، لا مفر من وضع النهاية. أخبرها أن الهاتف لا يصلح لهذه المناقشات الطويلة، قررا معاً أن يكون اللقاء في شقته، لم تكن خائفة من هذه الزيارة، كانت تعتقد أن الحقيقة التي اكتشفتها مؤخراً، أعطتها القوة على المواجهة.

إنها امرأة متزوجة، ورغم هذا سمحت للحب أن يطرق قلبها من باب خلفي، تجاهلت اللوم. منحت للحبيب قلبها فقط، واحتفظت بالجسد، وظلت مشتتة، ضائعة بين قلب أصبحت لا تملكه وبين جسد تمنحه بلا قلب.

توقفتْ، شعرتْ بالتعب، الأفكار ترهقها أكثر من الصعود،

نظرت إلى أسفل، ما زالت في الطابق الثاني، ما زال الطريق طويلاً.

دفعها الفراغ الذي يسكنها إلى حب آخر، نفسها المتمردة كانت أقوى منها، عاندتها، هيأتْ لها الحب، جعلته حلو الملامح، رأت الحبيب في صورة غير الحقيقة، ولو أنها دققت النظر لأدركت أنه يحمل نفس الصفات التي تجعلها تبتعد عن حياتها الخاصة وتقترب منه، إنها تمنح قلبها لمن لا يستحق، تعيش أحاسيس خاطئة في زمن وهمي، زمن وحبيب من صنع خيالها.

توقفتْ مرة أخرى، تنهدت ثم تابعت الصعود، لقد أصبحت هشة للغاية، أصابها هذا الحب بالضعف، شعرت أنها مع الحبيب بلا صوت، امرأة في المرتبة العاشرة وربما أقل.

توقفتْ، حاولت أن تسمع نفسها، لا صوت، ضاعت الكلمات، فتحت حقيبتها، أخرجت نظارة الشمس الداكنة، ارتدتها، بدأت في بكاء هادئ، عالج البكاء بعض جروح النفس، مسحت دموعها بيدها المرتعشة، لمست سخونة الدمع، كان في سخونة جرحها وخوفها ومشاعرها، تأملت السلالم خلفها، كانت نظرتها منذ بدأت الصعود نحو الخلف دوماً.

واصلت الصعود مرة أخرى، إنها تقترب، تساءلت: هل

ستسمح للوهم أن يجتازها مرة أخرى ؟ . . . . لقد جاءت لكي تقول وداعاً، ستفتقده، ستفتقد الوهم الذي عاشته زمناً وصدقته، لابد أن تكون أقوى من نفسها، أقوى من ضعفها ووهمها، لابد أن تغادر خيالها الذي خدعها طويلاً، أن تعلن الرحيل إلى الواقع، فهو بمذاقه المر أحلى من شهد الخيال.

وصلتْ إلى الطابق العاشر، اقتربت من الباب الذي يحمل اسمه، أصابها شلل تام.

لماذا صعدت إليه ؟ . . إنها تدعي إنها تقاومه ولكنها جاءت ، الوداع لا يحتاج إلى نقاش، إنه قرار لا رجعة فيه، والنقاش قد يحتمل العودة.

استدارت، سارعتْ نحو السلالم مرة أخرى، تجسد لها الوهم ضاحكاً ساخراً، حطمته.

كانت رحلة الهبوط سهلة وسريعة.

في طريق العودة رن هاتفها المحمول، كان هو: لماذا تأخرت ؟

أغلقتْ الهاتف، إنه رحيل بلا عودة.